

المسجد: مكانته، وآدابه، ودوره في المجتمع ١٥ محرم ١٤٤٤هـ

عباد الله: المساجد هي أحب البقاع إلى الله تعالى، أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها». وقد أضافها الله تعالى إلى نفسه إضافة إجلال وتشريف، وتوعد من منع ذكره فيها وسعى في خرابها بخزي الدنيا وعذاب الآخرة، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. ولما كانت المساجد أحب البلاد إلى الله تعالى لم يكن غريباً أن يرصد لبنائها الأجر العظيم، أخرج ابن ماجه، وصححه العلامة الألباني رحمته الله، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من بنى مسجداً لله كمفحص قطاة، أو أصغر، بنى الله له بيتاً في الجنة». قال السندي رحمته الله في «حاشيته على سنن ابن ماجه»: قوله (كمفحص قطاة): هو موضعها الذي تحميم فيه وتبيض؛ لأنها تفحص عنه التراب، وهذا مذكور لإفادة المبالغة في الصغر، وإلا فأقل المسجد أن يكون موضعاً لصلاة واحد.

أيها المسلمون: لقد حثت الشريعة على محبة المساجد، وتعظيمها، وتنظيفها، وتطيبها. أخرج أبو داود والترمذي، وصححه العلامة الألباني رحمته الله، عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور، وأن تنظف وتطيب. قال البغوي رحمته الله في «شرح السنة»: (ببناء المسجد في الدور) يريد المحال التي فيها الدور، ومنه قوله: ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾. وأخرج مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه! مه! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزرموه، دعوه» فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه، فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القدر، إنما هي لذكر الله عز وجل، والصلاة، وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء، فشنه عليه [أي: صبه]. وأخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أكل ثوماً أو بصلاً، فليعتزلنا، أو ليعتزل مسجداً، وليتعد في بيته».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ لِلتَّلَاقِ بِالْمَسَاجِدِ فَضَائِلَ كَثِيرَةً، مِنْهَا:

الأوَّل: الْمُتَعَلِّقُونَ بِالْمَسَاجِدِ يَجْزِيهِمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا، وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

الثَّانِي: مَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِالْمَسْجِدِ أَظَلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ فِي خَلَاءٍ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسْجِدِ».

الثَّالِثُ: شَهِدَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِالْإِيمَانِ لِمَنْ عَمَرَ الْمَسَاجِدَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

الرَّابِعُ: الْمَشْيُ إِلَى الْمَسَاجِدِ تُكْتَبُ بِهِ الْحَسَنَاتُ، وَتُمْحَىٰ بِهِ السَّيِّئَاتُ. أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَاحَ إِلَىٰ مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ فَخَطْوَةٌ تَمْحُو سَيِّئَةً، وَخَطْوَةٌ تُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةٌ، ذَاهِبًا وَرَاجِعًا».

الخَامِسُ: الْجُلُوسُ فِي الْمَسْجِدِ لِانْتِظَارِ الصَّلَاةِ رِبَاطٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَىٰ إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمْ الرِّبَاطُ».

السَّادِسُ: الْمَشْيُ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ يَكُونُ نُورًا لِصَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَشِّرِ الْمَسَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

السَّابِعُ: الَّذِي يَجْلِسُ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ يُكْتَبُ لَهُ أَجْرُ الْمُصَلِّي، وَتَسْتَغْفِرُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، وَأَحَدِكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ».

وَمَعَ هَذِهِ الْفَضَائِلِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَحْصُلُ عَلَيْهَا الْمُبَكَّرُ فِي الذَّهَابِ إِلَى الْمَسْجِدِ، وَالَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ يَنْتَظِرُ إِقَامَةَ الصَّلَاةِ، مَعَ هَذَا فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُصَلِّينَ الْيَوْمَ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الْحُضُورِ لِلصَّلَاةِ، فَلَا يَأْتُونَ إِلَّا إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، وَرُبَّمَا يَفُوتُهُمْ أَوَّلُ الصَّلَاةِ أَوْ مُعْظَمُهَا، وَيَبْخُلُونَ بِأَوْقَاتِهِمْ أَنْ يَصْرِفُوا شَيْئًا مِنْهَا فِي الْمَسَاجِدِ، وَهَذَا حِرْمَانٌ عَظِيمٌ، وَتَعَرُّضٌ لِلْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخَّرًا، فَقَالَ لَهُمْ: «تَقَدَّمُوا فَاتَّمُوا بِي، وَلِيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخَّرَهُمُ اللَّهُ».

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ لِحُضُورِ الْمَسَاجِدِ آدَابًا، عَلَى الْمُسْلِمِ مُرَاعَاتُهَا، وَمِنْهَا:

الْأَوَّلُ: الذَّهَابُ إِلَى الْمَسْجِدِ فِي أَحْسَنِ هَيْئَةٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

الثَّانِي: الدُّعَاءُ بِمَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأَهْلُ السُّنَنِ عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ، أَوْ عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»، وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ حَيَوَةَ بْنِ شُرَيْحٍ قَالَ: لَقِيتُ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ، فَقُلْتُ لَهُ: بَلَّغْنِي أَنَّكَ حَدَّثْتَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»، قَالَ: [أَيُّ: عُقْبَةَ]: فَإِذَا قَالَ: ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ. وَأَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اغْصِنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ».

الثَّلَاثُ: دُخُولُ الْمَسْجِدِ بِسَكِينَةٍ وَوَقَارٍ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَابْنُ خَرِيبٍ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ سَمِعَ جَلْبَةَ رِجَالٍ [أَيُّ: أَصْوَاتِهِمْ حَالَ حَرَكَتِهِمْ]، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قَالُوا: اسْتَعْجَلْنَا إِلَى

الصَّلَاةِ، قَالَ: «فَلَا تَفْعَلُوا، إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا».

الرَّابِعُ: صَلَاةُ رَكْعَتِي تَحِيَّةِ الْمَسْجِدِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ، وَلَوْ كَانَ الْإِمَامُ يَخْطُبُ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ سُلَيْكُ الْغَطَفَانِيُّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ، فَجَلَسَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا سُلَيْكُ، قُمْ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، وَتَجَوَّزْ فِيهِمَا»، ثُمَّ قَالَ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا». وَيُسْتَحَبُّ الْإِكْتَارُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَالِدُّعَاءُ، وَالِاسْتِغْفَارُ، وَتَعَلُّمُ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ.

وَلِيَحْذَرَ الْمَرْءُ مِنَ الْكَلَامِ بِالْبَاطِلِ، فَلَا مَكَانَ فِي الْمَسْجِدِ لِلْغَيْبَةِ وَالنِّمْمَةِ وَالْكَذِبِ، وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ مُحَرَّمَةً خَارِجَ الْمَسْجِدِ، فَهِيَ فِي الْمَسْجِدِ أَشَدُّ تَحْرِيمًا، وَبَعْضُهُمْ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى فِي الْإِعْتِكَافِ الَّذِي هُوَ مِثْلُ الذِّكْرِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْإِجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ، وَالْإِنْتِطَاعِ عَنِ الدُّنْيَا. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْفَتَاوَى»: «أَمَّا الْكَلَامُ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فِي الْمَسْجِدِ فَحَسَنٌ، وَأَمَّا الْمُحَرَّمُ فَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ أَشَدُّ تَحْرِيمًا».

الخَامِسُ: الْحِرْصُ عَلَى الصَّلَاةِ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَأَسْتَهَمُوا». أَيُّ: لَا اقْتَرَعُوا.

السَّادِسُ: عَدَمُ التَّشْبِيكِ بَيْنَ الْأَصَابِعِ وَقْتَ انْتِظَارِ الصَّلَاةِ. أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ خَرَجَ عَامِدًا إِلَى الْمَسْجِدِ، فَلَا يُشَبِّكَنَّ بَيْنَ أَصَابِعِهِ؛ فَإِنَّهُ فِي صَلَاةٍ».

السَّابِعُ: عَدَمُ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي الْمَسَاجِدِ، وَعَدَمُ الْبَيْعِ وَالشَّرَاءِ فِيهَا. أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ»، عَنِ الْبِيَّاضِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَقَدْ عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْقِرَاءَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُصَلِّيَّ يُنَاجِي رَبَّهُ ﷻ، فَلْيَنْظُرْ مَا يُنَاجِيهِ، وَلَا يَجْهَرْ بِعُضُكُمُ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ»، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا أَرْبِحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ فِيهِ ضَالَّةً، فَقُولُوا: لَا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ».